

تجليات الواقعية في مجموعة القصص القصيرة ”ذهبت إلي الشلال” للروائي بهاء طاهر

طالبة الدكتوراه فوزية جلاي

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة آزاد الإسلامية – تهران مركزي - إيران

Foz.jalai.iauctb.ac.ir

الأستاذ المساعد الدكتور سندس كردآبادي (الكاتبة المسؤولة)

قسم اللغة العربية وآدابها – جامعة آزاد الإسلامية – تهران مركزي إيران

ordabady@iauctb.ac.ir

**The realistic appearances in the short story collection “I
went to the waterfall” by Bahaa Taher**

PhD student Fawzia Jalali (responsible writer)

**Department of Arabic Language and Literature - Islamic Azad University -
Central Tehran – Iran**

Assistant Professor Dr. Sundus Kordabadi

**Department of Arabic Language and Literature - Islamic Azad University -
Central Tehran - Iran**

الملخص :

Abstract:

Bahaa Taher is a well-known Egyptian novelist and storyteller in the Arab world who followed a realistic approach in some of his effects and anecdotal works. He took advantage of the realistic appearances to reflect his social ideology and the facts of his life and time. This modest study seeks through the descriptive analytical method to explain and analyze the main lines of realism in the story series "I went to a waterfall", and the results show that Bahaa Taher, through his short stories, represents the crisis and bitter conditions outside the narration of his stories, and that the most important and most visible aspects of this group are: attention to detail in descriptions and events, highlighting his political and social views. Critical, personal appearance of the storyteller, the importance of the media and the reference to the historical events.

Key words : Baha Taher , Fictional Story "I went to the waterfall" , Realism , Short Story

يعتبر بهاء طاهر من رواد القصص القصيرة في العالم العربي وكانت رواياته ذات منحي واقعي تعني برسم الواقع الاجتماعي بدقة متناهية وبيان و تحليل الأسباب و الدوافع . في مقالنا الحالي نسعي من خلال المنهج الوصفي التحليلي أن نبين أبرز ملامح الواقعية في مجموعته القصصية "ذهب إلى الشلال"، وتشير النتائج إلى أن الأديب بهاء طاهر في قصصه عكس الأوضاع المتدهورة وأن أبرز تجليات الواقعية في قصصه يتمثل في اعتناء ببيان الجزئيات في وصف الشخصيات، وبيان الاتجاهات السياسية والاجتماعية والنقدية، و تجلي شخصية الروائي نفسه، وبيان دور الإعلام وأهميته والحديث عن أبرز الأحداث التاريخية.

الكلمات المفتاحية : الواقعية - بهاء طاهر - مجموعة قصص "ذهب إلى الشلال".

المقدمة

يمكن دراسة وتحليل الأدب الروائي من عدة زوايا وفق العديد من المذاهب الأدبية ومن ضمنها المذهب الواقعي، فمصطلح الواقعية هو ترجمة عربية عن كلمة (realism) الفرنسية من جذر (real) بمعنى الحقيقة . وبصورة عامة فإن هذا المذهب الأدبي يهتم بكل أدب وفن يعتني بالواقع المعاش ونجد نماذج هذا المذهب في أدب العديد من الأمم السابقة كالصين ومصر وآشور ، واليونان والروم . فالواقعية بمعناها الحقيقي عبارة عن مذهب خاص ظهر في بداية القرن العشرين في عام ١٨٣٠ ميلادي في فرنسا ومن ثم انتقل إلي شتي بقاع الارض (ميرصادقي، ١٣٨٨، ٣٠٨). في مكان آخر نري في تعريف الواقعية أنها انعكاس الواقع بصورة أدبية وقد بنى هذا المذهب كردة فعل علي المذهب الرومانسي الذي سبقه بالبزوغ في بريطانيا و امريكا (داد، ١٣٨٠، ١٥٥).

نظرا إلي اهتمام الواقعية المباشر بالمجتمع وقضايا ومصيره فإنها أكثر المذاهب الأدبية اتصالا بالإنسان و واقعه التاريخي إذ «أنها تعكس الواقع مباشرة لاسيما أحداثه المؤلمة وصراعاته المريرة ولا يكتفي بذلك بل يسعى لكشف حقيقته فيغور في أعماقه ما استطاع إلي ذلك سبيلا» (اسماعيل، ١٩٧٣، ٢١٥).

ان مذهب الواقعية تجلّي أكثر من كل المذاهب الأخرى في الأدب الروائي وان الكتاب باتجاههم الواقعي نحوا إلي خلق القصص والروايات الواقعية. ظهرت مذاهب عدة بعد المذهب الواقعي الا ان هذا المذهب حفظ اعتباره ومكانته بين المذاهب الأخرى طول عقود مديدة بعد ما قدمه من إبداعات فريدة حتي الوقت الحالي. (ميرصادقي، ١٣٨٠، ٣٠٨). حتي يمكننا القول ان فن الروايات اليوم قائم علي اساس الواقعية (سيد حسيني، ١٣٨٥، ٢٦٩). في واقع الامر فإن الواقعة تعمد إلي بناء القصص علي اساس قوانين الطبيعة والمجتمع. وأنها تدرس القضايا النفسية ضمن العلل الاجتماعية كي تتعرف علي مصير الإنسان ضمن ظروفه البيئية وخصوصيات الفردية، و تنظر إلي المجتمع علي أنه كائن حي وهي قبل ان تدرس الإنسان من الوجهة البيولوجية تدرسه من المنظر الاجتماعي والتاريخي. (برهام، ١٣٤٥: ٥٥).

بناء علي ذلك ونظرا لعلاقة هذا المذهب الأدبي بالمجتمع وصلته الوثيقة بقضايا يمكن استنتاج ان هذا المذهب تميز بكثرة اتباعه علي مختلف آداب العالم وفي شتي

العصور . كان بهاء طاهر من ضمن أبرز الأدباء المصريين الذين يهتمون في قصصهم بهذا المذهب . اذ سعي بدقة ان يعكس الأوضاع السياسية و الاجتماعية المصرية في عهده ضمن مجموعته القصصية (ذهب إلى الشلال) . وقد تميزت هذه المجموعة بان شخصياتها حية وملموسة وواقعية . لكن يجب التنويه إلى ان الواقعية في الأدب القصصي لا تعني ان كل سماتها واقعية بل ان أبرز سمات هذا المذهب تجلت فيها وأنه اقرب إلى هذا المذهب من المذاهب الأخرى حتي يمكننا ان نطلق عليه بذلك أدبا واقعيا . (جعفري، ١٣٧٨، ١٥٩) . في هذا الصدد فإن المقال الحالي يسعى إلى الاجابة علي السؤال التالي، ما هي أبرز تجليات الواقعية في مجموعة قصص (ذهب إلى الشلال) للروائي بهاء طاهر؟

خلفية البحث

هناك العديد من البحوث والمقالات التي تناول هذا الشخصية من أبرزها: «بررسي عنصر شخصيت در رمان «خالتي صفية والدير» لبهاء طاهر علي أساس نظرية «فليب هامون» للكتاب حسن فاتحي، فرامرز ميرزاوي و بي بي راحيل سن سبلي وقد سعي المقال إلى دراسة شخصية «خالتي صفية والدير» وفق نظرية فليب هامون. «ويژگيهاي فني و موضوعي داستان در آثار بهاء طاهر» للكتاب جواد اصغري، ويهدف المقال إلى التعريف بالسمات الفنية و المحاور المضمونية في قصص بهاء طاهر. «الزمن السردى ودوره في عملية انتاج المضمون في قصة "الخطوبة" القصيرة لبهاء طاهر»، للكتاب جابر سوسوني. وقد سعي الكاتب إلى دراسة الازمنة الروائية في هذه القصة وفق نظرية جيرار جينت. «الموت والحلم في عالم بهاء طاهر»، للكتاب شاكر عبد الحميد، وقد خلص المقال إلى ان هناك ثلاث محاور رئيسية في قصص بهاء طاهر تتمثل في الموت والسلطة والرؤيا. وان الموت تجلّي بمعناه الحقيقي والاستعاري . «ثقافة الحب والكراهية والموت في رواية خالتي صفية والدير لبهاء طاهر» للكاتبة مها حسن يوسف قصر اوي ود درست فيها ماهية الحب و البغض و الموت في رواية «خالتي صفية والدير». لكن كما نري لا توجد دراسة تهتم بتجليات الواقعية في قصص هذا الروائي الشهير لذا قررنا دراسة وتحليل مظاهر الواقعية في مجموعته (ذهب إلى الشلال).

نبذة عن بهاء طاهر و مجموعته القصصية «ذهبتُ إلي شلال»

ولد بهاء طاهر في محافظة الجيزة في ١٣ يناير سنة ١٩٣٥.. عمل مترجماً في البيئة العامة للاستعلامات بين عامي ١٩٥٦ و ١٩٥٧، وعمل مخرجاً للدراما ومذيعاً في إذاعة البرنامج الثاني الذي كان من مؤسسيه حتى عام ١٩٧٥ حيث منع من الكتابة. بعد منعه من الكتابة ترك مصر وسافر في أفريقيا وآسيا حيث عمل مترجماً. وعاش في جنيف بين عامي ١٩٨١ و ١٩٩٥ حيث عمل مترجماً في الأمم المتحدة عاد بعدها إلى مصر (حسين، بلا تاريخ، ٦-٤).. حاز على جائزة الدولة التقديرية في الآداب سنة ١٩٩٨ حصل على جائزة جوزيبي اكيري الإيطالية سنة ٢٠٠٠ عن خالتي صفية والدير حصل على الجائزة العالمية للرواية العربية عن روايته واحة الغروب (طاهر، ١٣٩٣، ١٢). وقد ترجمت إلي العديد من اللغات العالمية من ضمنها اللغة الفارسية علي يد الكاتب رحيم فروغي.

«ذهبتُ إلي شلال» هي رابع مجموعاته القصصية وقد نشرت عام ١٩٩٨ بعد ان قدمها الكاتب إلي صديقه علي الراعي وهي تتضمن سبعة قصص قصيرة تتمثل في «أسطورة حب»، «فرحة»، «الملاك الذي جاء»، «من حكايات عرمان الكبير»، «شتاء الخوف»، «ولكن» و «أطلال البحر» .

ان قصة أسطورة الحب رواية قصيرة غرامية خيالية وان بطلها شاب غارق في احلامه وفي احد الأيام عندما كان يسكن الغابة بجانب نهر راى حورية تبتسم في وجهه وسرعان ما تغيب ثم يري صيادا فيلتحق به ويذهب إلي بيته ويعشق بنتا في بيته. ثم يتضح ان تلك البنت اسرها الصياد بسحره وفي غيابه تقوم البنت بسر حكاية سحر الصياد وتطلب من ان ينجها. مما يؤدي ذلك إلي نشوب صراع بين الرجل والصياد الساحر وتنتهي الرواية بانتصار الرجل علي عدوه بعد ان ساعده احد الملاك. اما قصة (فرحة) فهي رواية ذكريات حب من لسان الراوي (الكاتب) . فهو بعد فقدان لاعزاءه وحبيبته بات يعيش في احلك أيام حياته وبعد اجتياز ذاك العهد يعاوده الغرام وفي لقاء غرامي بجانب شلال خلال يلتقي بحبيبته.

اما قصة (الملاك الذي جاء) فهي رواية ذكريات الكاتب في الديار الغريبة والتي يسرد فيها حكاية حاله وابناء جلدته في البلاد الاجنبية ويتحدث عن مآسيهم ومشكلاتهم والجور الذي يمارس عليهم ضمن قالب حوار ثلاثي يشمل من الكاتب وصديقه وامراة

هلندية. . اما قصة (من حكايات عرمان الكبير) فالكاتب من خلال ذكر قصتين حول عرمان يحث أبناء مجتمعه علي دراسة التاريخ والاعتزاز بالاجداد والاهتمام بمصيرهم والاقتداء بهم. اما قصة (شتاء الخوف) فهي قصة ذا مضمون سياسية يعكس فيها الكاتب استبداد الحاكم وطريقة تعامله القمعية مع المعارضين وخشيته من الصحوة واليقظة لاسميا الشريحة المثقفة.

اما رواية (ولكن) فهي حكاية شخص (قد يكون الكاتب نفسه) عاد ادراجه إلي بلده وحاور سائق سيارة في طريقه. فهو يتحدث فيها عن حب الوطن وأسباب الهجرة كما أنهما يتناولان قضايا قلة الامكانيات ، وعدم اهتمام الحكومات بالناس، والفقر.... واغلب الأسباب التي تؤدي إلي الهجرة . اما رواية (اطلال البحر) فهي رواية غرامية تسرد علي لسان راو غايب لا يذكر الكاتب اسمه. فذاك الشخص المغرم يرفض الزواج بعد وفاة زوجته لكنه يعشق امرأة مطلقة اسمها نوال وأنه اليوم بعد مضي العديد من السنين علي حبه يعيش في عهد شيخوخته علي الساحل متذكرا أيام شبابه وحبه القديم ويستحرج لوعة علي أيامه الماضية.

تحليل مظاهر الواقعية في مجموعة (ذهبت إلي الشلال)

في الروايات الواقعية فإن الكتاب يتسقون مضامينهم من القضايا الاجتماعية ويعرضونه علي شكل حياة اجتماعية. هذا الامر يجعل القراء يرون آلامهم ومشاكلهم في هذا القصص وبذلك يميلون نحوها. فضلا عن ذلك تتجلى عناصر الواقعية الأخرى ضمن هذه القصص و تقربه إلي الواقع المعاش.

١- بيان الجزئيات والوصف الدقيق للشخصيات والأحداث والاماكن

ان الواقعية تعرض الحقيقة بأشكال متعددة وان هذه الاساليب عبارة عن بيان الجزئيات ، واعطاء تحليل دقيق عن المجتمع ورسم جوانب الشخصيات من زاوية علاقتها بالبيئة الاجتماعية (پرويني و همكاران، ١٣٩١: ٤٩). . نجد في مجموعة (ذهبت إلي الشلال) ان الوصف لعب دورا هاما في منح القصة ابعادا جمالية وعزز في ذهن القاري ان العالم الذي نعيشه يتشكل من كلمات حية وواقعية. (ايراني، ١٣٦٤: ١٠٥). كما ان بيان الأحداث و وصف الاماكن والنفوذ في باطن الشخصيات والكشف عن النفسيات يصنف صورة واضحة امام القاري وبذلك تتعزز جوانب الواقعية في قصصه.

فالكاتب الواقعي يسعى إلى ان تنقل تجربته الشعورية إلى القاري لذا يلجأ إلى الوصف الدقيق للجزئيات والشخصيات والسلوك. (داد، ١٣٨٠، ١٥٥).

١- الوصف الظاهري للشخصيات

ان الوصف الظاهري من ابرز اساليب رسم الشخصيات . ان الاستاذ اخوت قسم الوصف الظاهري للشخصيات إلى نوعين. فالنوع الاول هو السمات الظاهرية الطبيعية من مثل الطول و الحجم و ظواهر الجسم من مثل صغر الانف وكبره والتي ليس للشخص اي دخل فيها. والنوع الثاني هي السمات الظاهرية الاجتماعية كالملابس و الزينة والسلوك الاجتماعية من مثل شكل الكلام و الاستقامة ... (اخوت، ١٣٧١: ١٣٩). يهتم بهاء طاهر كثيرا في رسم الشخصيات و ابراز سماتها الشكلية والظاهرية والاخلاقية والسلوكية ويبدو ان وصف شكل الأشخاص لاسيما الوجه تجلّي كثيرا في قصصه . علي سبيل المثال فان قصة (أسطورة حب) اولي قصص المجموعة عندما يقوم طاهر بايقاف عالمه عن الدوران ويتوقف عن الكلام ويرسم صورة ساكنة عن محيطه الخارجي في تلك اللحظة يشرح لهم ما يري: «يحجب الشمس ظل. أرفع رأسي. فأري الصياد العجوز يحمل سنارة وشبكة. وفي وجهه الأسمر تجاعيد بسمات متوازية. شعره الأبيض عشّ ممهد» (طاهر، لا تا، ١٢). فهو يصور الصياد الساحر بوجه ذي تجاعيد حنطي اللون وأزلاف بيضاء وفي جزء آخر يرسم بسارب أحمر مفتول و عيون حمراء (سارب أحمر يصعد حتي عينيه الناريتين) وهكذا تتجلّي سمة تصوير الجزئيات في قصته وكذلك نجد الشياطين تبدو في اغلب قصصه بصورة سحرية. كما أنه تجدر الإشارة هنا إلى ان بهاء طاهر استخدم في قصصه القصيرة بالواقعية السحرية وتعامل معها علي أنها حدث سحري . ان الواقعية السحرية نمط أدبي يتشكل من لحلا مزج العناصر السحرية بالعالم الواقعي وبذلك يدمج المذهبين الواقعية و الخيالية ويصنف رواية تصور العناصر السحرية كأنها أحداث واقعية (رشيدان، ١٣٩٤، ٧١٤).

او في قصة (الملاك الذي جاء) يهتم مرة أخرى بالمظاهر الشكلية وينظر إليها باعتبارها احد طر ابراز رويته بحيث يشعر القاري بحضوره وكأنه ليس بإمكان ان يرتبط بالشخصية مباشرة وهو مضطر للنظر إلى عالم القصة من خلال عيون بهاء. «كانت في حوالى الأربعين، طويلة غير جميلة، شعرها أصفر وخفيف، ينسدل على جانبي وجهها

مثل شواشي الذرة ولاحظت أنها ترمقني باستمرار وهي تشرب نبيذها الأحمر برشقات صغيرة ولكنها متتابعة. لم أفهم لماذا تفعل ذلك، وشعرت بشيء من الارتباك بسبب نظراتها العصبية المركزة، الخالية من أي تودد» (المصدر نفسه: ٢٧). ثم نري عيون بهاء كعدسة التصوير تعكس صورة امرأة اربعة ذات شعر اصفر معلق كسنا بل الذرة الرهيفة الصفراء بنظراتها الغاضبة ثم يدور حوار بينها وصديقها حول أوضاع البلد وقضية الدراسة في الدول الاجنبية حتي يمتد الحديث ثلاث صفحات حتي يعود القاري من خلال نظرات عيون الكاتب إلي ظاهر تلك المرأة مرة أخرى. «كانت تلبس نظارة طبية سميكة العدسات تحاول تثبيتها باستمرار» (المصدر نفسه، ٣٠).

في قصة (ولكن) ايضا نري الكاتب فضلا عن وصف السائق يصف ما حوله حتي الحركات ضمن مشهد وصفي رائع. من خلال استخدام هذا النمط نري الكاتب يصف ما قبل الحادث وحين الدخول إلي المكان الاصلي بدقة متناهية بحيث ان القاري يمكنه ان يتخيل ذلك بوضوح. (شيري، ١٣٨٢: ٢١). «وضعنا الحقائق في الشبكة الحديدية التي تعلق العربية، وبينما يقود سيارته الـ ٨٢١ العتيقة وسط الشوارع المتعرجة والمتقاطعة المحيطة بالمطار بدأت أتأمله، كان نوبيا أو سودانيا، مازال شعره المجعد كثيفا وإن بدأ الصلع يزحف على الجانبين ويجعل جبينه العريض أكثر ارتفاعا ووجهه أكثر نحولا وضمورا» (طاهر، لا تا: ٧٥).

وفي قصة (اطلال البحر) فإن الكاتب بدقة متناهية ووصف جميل يرسم ظاهر شخصية نوال وهي محببة راوي القصة «أطلال البحر» نويسنده با دقتي تمام و توصيفي زيا، ظاهر و شخصيت نوال، معشوقه راوي داستان را به تصوير مي كشد: «كانت هي المطلقة الجميلة في مكتب الشركة. فارعة الطول، تنير وجهها المدور بسمة جاهزة باستمرار على شفيتها تكشف سنتيها العلويتين المفلوجتين. حين تبسم يكون لها وجه طفلة مرحة، لكن النظرة الصريحة المستقيمة في عينيها السوداوين النفاذتين كانت تربك من يتجاوز حده معها من زملائها» (المصدر نفسه: ٨٦):

٢-١ وصف الحالة العاطفية للشخصيات وإبراز المشاعر

ان إبراز السلوك العاطفي ، والمشاعر النفسية، والعشق والحب، والخوف، و الامل، و الغراميات كل تلك الامور من أبرز سمات القصص الواقعية. (ميرصادقي،

١٣٧٦: ٢٦٨) نشاهد ان اكثر قصص طاهر مفعمة بالمشاهد الغرامية والودية ذات الايقاع العشقي ومن ضمنها ما نشاهد في حوار شهصياته في اولي قصصه اذ يقول: «قال: ستحبها وستعرفان فرحة لم تسبق نشوتها. سيكون العشب الناعم مهداً لكما وزهور المرج زينة عرسكما. سيلقي عليكما تحية الصباح الورد الأحمر وهو يشرع وريقاته الفتية مبللة بالندي... والزنايق البيضاء الحية... والبنفسج الرقيق إذ يوشى الأرض زينة تحت أقدامكما... والنرجس إذ تفيض كتوسه الطويلة بالشذى. وستحنو عليكما الأشجار، وتدلي ثمارها...» (المصدر نفسه: ١٧).

كما ان قصة شتاء الخوف هي حكاية شخص سياسي اسمه صلاح عمران منشغل بالامور اسلياسية والاهم من ذلك الذكريات والقضية الغرامية. عند يمر من جانب الشرطة تتجدد لديه الذكريات السابقة ويتذكر ليلة زفاف مهجة مع رجل اخر ومجاولته الانتحار انذاك: «يذكر الآن عندما اكتشف هذا المكان منذ خمس سنوات، وكانت ليلة حاسمة في حياته ليلة زفاف جارتة وحببته مهجة إلى رجل آخر. كان في سنته الأخيرة بالجامعة، وقرر ليلتها أن يلقي بنفسه في النهر» (طاهر، لا تا: ٥٢).

نشاهد ان العنصر الغرامي قوي في كل قصص الأديب حتي رواياته السياسية حتي يمكننا القول ان كل قصة منها تحتوي علي حكاية حب وان مضمونها غرامي واستحضار للذكريات الماضية.

٣-١ وصف الامكنة

مما يميز المذهب الواقعي اهتمامه كبير بوصف الامكنة نظرا لدوره في رسم الواقع الاجتماعي(حضر، ٢٠١٤: ١١٤). وقد عني طاهر بهذا الفن وابدع في وصف مشاهد الطبيعة ومناظر المجتمع: «ركبت قطاراً واجتزت جبالا ومراعي وانهارا. رأيت جبالا تكسوها الثلوج، في سفوحها الأشجار خضر، وفي أعاليها ترتدي ثياب عرس بيضاء من الثلج. مواكب من تلك الأعراس لا تنتهي تمر أمام عيني. ورأيت الثلج في القمم البعيدة يبرق تحت شمس وانية بلون وردي ناعم، ورأيت في الكون نعمة» (المصدر نفسه: ٢١). ونراه عندما يريد ان يصور قوس قزح و الشلال يصف كالتالي: «فجأة، يصبح النهر كله زبداً موارا متدافعا قبل أن تعلو قبة شاهقة من الماء يهوي النهر كله معها نحو الأسفل

متلاطما وصارخا ومدوما وملونا، وقوس قزح كامل يحف بي واضحا في تمامه، ويرمي ألوان الطيف كلها علي الشلال الذي يولد بغثة من ماء أخضر وزبد أبيض...» (طاهر، بي تا: ٢٢). وكذلك في وصفه للأمواج يقول: «الأمواج تجري نحو الشط، كالعادة. تأتي من البعد في أجنحة فضية، رقيقة وصغيرة مرفرفة نحو البر، تريد أن تخلق. تلطم الصخر الراسخ لكنها لا تخلق بعيدا» (المصدر نفسه: ٨٥).

وهكذا فإن وصف الامكنة الواقعية في القصص من أبرز سمات المذهب هذا لذا نجد طاهر يجد في وصف الامكنة الحقيقية وسبب ذلك هو شغفهم بالامكنة او حنينهم إليها وتحسرهم عليها. (شكري، ١٣٨٦: ٢٤٣). يصور طاهر الوطن علي لسان شخص غريب عن بلاده مصر كالتالي: «إنتهت إلى ما يقوله صديقي، وكان يسألني: لماذا لا أرجع إلى مصر، قال أنه بناء على ما يسمعه فإن مصر تعتبر جنة الله في الأرض. فمثلا لو كنت معارضا وقبضوا على فإن من حقي، أن يكون لي حمام وأن أذهب إلى قاض وهذه أشياء لا تقدر» (المصدر نفسه: ٢٧).

الجيزة (٥١) المنفلوط (٦٥)، البولاق، السعودي، الجزائر (٧٥)، جامع السلطان (ابوالعلاء)، منشية البكري، جامع الأبيض (٧٩)، شارع بورسعيد (٨١)، الاسكندرية، ساحل استانلي (٨٩) و القاهرة (٩٢) من أبرز الامكنة الأخرى التي تظهر في القصص وان هذا الحجم من الاعتناء بالامكنة مع بيان الشوق والحنين يدل علي انتهاز الأديب من المذهب الواقعي (شكري، ١٣٨٦: ٢٤٣).

٢- بيان الرؤية السياسية والاجتماعية والانتقادية

الواقع المتردي والاختلاف الطبقي و حال النساء في المجتمع، والفقر، والحرب، و القمف، ونقد الأوضاع الاقتصادية والثقافية والحضارة المدنية وطريقة التعامل مع شريحة المتنورين، و التدهورات السياسية اغلب مضامين الأدب الواقعي. ففعي الواقعة الانتقادية نشاهد التضاد و عدم المساوات، و الشعور بالمسؤولية امام المجتمع، ومسايرة القضايا الفكرية المعاصرة والانحياز إليها (جرانت، ١٣٧٥: ٩٢).

اهتم بهاء طاهر في مجموعته القصصية (ذهبت إلي الشلال، ضمن قوالب متعددة بالقضايا السياسية والاجتماعية المهيمنة علي المجتمع ومن أبرزها:

١-٢ القمع والاستبداد الحكومي

ان اختيار القضايا المصيرية من اهم مبادي تكامل الواقعية. وان الكات بالواقعي كثيرا ما يشغل نفسه بقضايا الاجتماعية الهامة (برهام، ١٣٧٦: ٤٩). قام الأديب بهاء طاهر برويته الواقعية الانتقادية برسم شخصياته ضمن صراعاتهم مع الأوضاع المتدهورة يتحدث الكاتب علي لسان احد شخصياته في قصة (الملاك الذي جاء) منتقدا الأوضاع الراهنة في العالم العربي والقمع الحكومي الذي يمارس علي الشعوب . فهو بشره الموزج والدقيق يرسم هذه الأحداث بدقة اي مدة اتهامهم وظروف قضاء الحكم في عهد استقلال البلاد وفي العهد الاستعماري . لذا فهو بهدف رسم الواقع وتناقضات المجتمع يتحدث عبر احد شخصياته محملا اياه عقائده وافكاره ومتسائلا عبر تلك الشخصية لماذا يجب ان نزعج من الاستعمار وهو بذلك يبحث عن حل لهذه المعضلة الشائكة: «لو كان يضمن عشرين عاما لرجع إلى بلده من زمن. قال: أنهم في بلده يبدأون بقتل المعارضين، ثم يبحثون بعد ذلك عن الأسباب. قال: أنه كان يوما أسود يوم قرر في شبابه أن ينضم لمظاهرات الاحتجاج على الاستعمار فدخل السجن، وحين خرج منه وجد نفسه سياسيا بالرغم منه. وفي الحقيقة ما الذي كان يغضبه من الاستعمار بالضبط؟ .. لقد قضى في السجن أيام الاستقلال أضعاف ما قضاء أيام الاستعمار، وكان سجن الاستعمار لعب عيال جنب ما حدث له من الأهوال في سجن الاستقلال. وها هو من عشر سنين محكوم عليه بالإعدام في بلده لأنهم اعتبروا الحزب الذي كان عضوا فيه حزبا خائنا» □ (طاهر، لا تا: ٢٨).

وفي قصة (شتاء الخوف) حينما نري السيد صلاح وهو الشخصية الاصلية في الرواية يتحدث مع السيد حلمي حول ملفه القديم ويتصور ان قد طوي وانتهى يذكره حلمي بقوله : «صَدَقَ إن الشمس يمكن أن تشرق من الغرب، و صَدَقَ إن الهرم يمكن أن ينقلب ويقف على حافة قمته وقاعدته مبسوطة تحت السماء ولا تصدق أن هذه الملفات يمكن أن تضيع أو تختفي. هي الوحيدة الخالدة. هل تعرف أنهم منذ يومين ذهبوا للقبض على زميل مات منذ سنتين» (طاهر، لا تا: ٦٢).

٢-٢ التبعية والاختلاف الطبقي

في المذهب الواقعي لم يتقصر اهتمام الأديب علي المظاهر العامة بل يعتني ايضا بعمق القضايا ويسعي لدركها العضلات الاجتماعية. (بوشعير، ١٩٩٦: ٦٢). في المذهب الواقعي الانتقادي يجدر الأديب كل أسباب الجور والفساد والعاهات الأخرى إلي مدراء البلد ويسعي لازالة اللثام عن الحقيقة (المصدر نفسه: ٧٠).

نشاهد الكاتب في مختلف النحاء مجموعته وهو يحاول ان يكشف عن جهود الحكومة في قمع المخالفين و المتورين. ويصور السيد صلاح عمران (بهاء طاهر) علي أنها رائد الحركة التنويرية ويتحدث عن جهود في سبيل تحسين الواقع المعاش. فهو متهم بالانتماءات الشيوعية وقد عاني كثيرا من الجور الحكومي و التبعية و المقع. فهو علي الرغم كونه من الطلاب المميزين الا ان وزارة العدل ترفض توظيفه. «لم يكن الإتهام جديدا عليه وإن ظن أنهم قد نسوه مع مرور الأيام. فعندما تخرج في كلية الحقوق ونجح في امتحان وزارة العدل عينوا كل الناجحين باستثناءه، تحرى أخوه، الذي كان مهندسا كبيرا للري ويعرف عدداً كبيراً من القضاة ورجال الشرطة الذين عملوا معه في الأقاليم، فاكشف أن صلاح عمران له ملف صغير في وزارة الداخلية وأن هذا الملف مكتوب فيه أنه له ميول» (طاهر، لا تا: ٥٨).

في قصة أخرى من مجموعته في سبيل بيان الاختلاف الطبقي وتداعياته يقدم طاهر تقريراً من شخص باسم سيد علوان يتميز برياضته و حسن خلقه وتفوقه الدراسي وتسلمه علي اللغتين الانجليزية والفرنسية الا أنه بحكم موطنه الفقير يتعرض لجور زملاءه الدراسيين: «كان مرموقا في كلية الشرطة بسبب جسده الرياضي وتفوقه في الدراسة وبسبب إتقانه الإنجليزية والفرنسية تخرج في مدرسة أجنبية. ومع أنه كان زميلا طيبا لرفاق دراسته جر عليه اعجاب المدرسين. كانوا في الكلية يخفون عهده الرسمية ويلفون له التهم كي ينزل به العقاب وتعتمد معظم زملائه أن يبعده عنهم لأنه ليس من وسطهم الاجتماعي (المصدر نفسه: ٦٣).

٣- ظهور شخصية الكاتب

تقديم نظرة الكاتب الاجتماعية في القصص والروايات من منظار المتكلم او الغائب من أبرز سمات المذهب الواقعي (دهقاني، ١٣٨٣: ٦٧). فنري بهاء طاهر في اجزاء من

مجموعته «ذهبت إلي شلال» يروي أحداث حياته . علي سبيل المثال في انحاء متعددة من قصته «الملاك الذي جاء» التي يرويها من منظاره حينما يتعرف علي المرأة الهندية ويستمتع إلي مآسي حياتها ومعاناتها يشير إلي وحدته و حزنه في الغربة. وبطريقة ما يتناول بيان حاله ومشاعره عبر لسان الهندية. «قالت أنها كانت منذ أيام في غرفتها وظلت مستيقظة كالعادة في الليل» (طاهر، لا تا: ٣١) ان المرأة الهندية تري الارق علي شكل عنكبوت اسود كبير ينسج باوتاره حول النوم ويسحبه «نظرت الي دون أن يفارقها الشك تماما، وسألني إن كنت رأيت العنكبوت. تطلعت إليها صامتا، فقالت أنها رأت الأرق بعينها وأنه عنكبوت كبير أسود يملأ السقف يغزل الخيوط التي تصطاد النوم الموجود في الغرفة ثم يقتله» (المصدر نفسه: ٣٣). في الغربة فان الارق الناتج من معضلات البلد ومشاكل الاغتراب من أبرز معاناة المهاجرين ومن ضمنهم بهاء طاهر والذي يشرحه بطريقة غير مباشرة علي لسان الهندية وهكذا يعرض شخصيته في القصة: «كانت تميل نحوي وهي تسألني دون أن تنتظر أي جواب... وكانت وهي تتكلم تمسك الوردة. ثم ترميها على الطاولة ثم تستردها وأخيراً قذفتها بعنف... وعرفت أنا أنه في هذه الليلة-أيضا- سيكون في سقف غرفتي ذلك العنكبوت مرة أخرى» (المصدر نفسه: ٣٥).

في قصة (شتاء الخوف) عندما يستحضر صلاح عمران ذكرياته ويتراجع عن قرار الانتحار يصوره الأديب علي حافة ماء مع حقيبة مفعمة بالكتب . وعندما يطمئن من عدم حضور أي شخص بجانبه يقوم بتلمس كتبه واحدا واحدا ويتذكر ذكرياته فيها ثم يلقيها في النهر: «حين تيقن أنه ليس هناك أي خيال أو أي صوت انحنى وفتح الحقيبة ثم بدأ يخرج الكتب. كان يعرفها جيدا من ملمسها وحجمها. يكاد يذكر الحواشي التي كتبها بالقلم الرصاص على هوامشها» (طاهر، لا تا: ٥٣).

هنا يجب الانتباه إلي عدة نقاط ؛ اولها ن بهاء طاهر في تصويره لشخصية صلاح عمران في بدء الامر يرسم قراره بالانتحار ومن ثم صدوفه عن ذلك لكي يصل بعد ذلك إلي انتحاره الثقافي اي القاء الكتب في النهر. ثانيا نظرا لنشاطات بهاء طاهر واثاره يمكن ان نحلل اثر محروميته عن الكتابة من خلال القاء الكتب في النهر وحزنه واساه العميق. كذلك فإن الجو السياسي الحاكم وموضوع كتبه (تاريخ الحركة الوطنية،

الإستعمار أعلي مراحل الرأسمالية، الثقافة المصرية، قصص مكسيم جوركي، مراسلات ماركس و أنجلز و...) بمحورية القضية الشيوعية من جانب وإشارة بهاء طاهر إلي المام شخصية القصة بموضو الكتاب كل بذلك يقوي شخصية بهاء طاهر في القصة. ثالثا فإن الكاتب من خلال الانتحار الثقافي انما يصور نقده للحكومة والاجواء القمعية التي تمارس علي الشعب. فهو بفعل خوفه من السلطة التي تخشي هي الأخرى من التنويرين ، يلقي بكتبه في النهر كل ليلة. كما يلاحظ ايضا ان الكاتب كان بإمكانه ان يلقي بكتبه دفعة واحدة في النهر لكنه آثر ان يلقيها واحدا اثر الاخر وذلك يدل علي شدة شغف بالكتب حتي أنه يعيد قراءتها واحدا واحدا قبل القاءها.

٤- الإعلام وتأثيره علي الوعي العام

في المذهب الواقعي فإن الإعلام يتميز بمكانة بارزة نظرا لدوره في الوعي العام . وان طريقة استخدامه في الأدب يعكس النظرة الواقعية للكاتب وبعبارة أخرى فان الحياة تجري ضمن الواقع الاجتماعي وان الإعلام احد ادوات نقل الثقافة (فتوحى، ١٣٩٢: ٦). نشاهد في مجموعة (ذهبت إلي الشلال) ان بهاء طاهر قام برسم شخصيته ومكانته واداة الإعلام خلف نقاب شخصية صلاح عمران، وهو بذلك فضلا عن بيان شخصيته ابان عن دور الإعلام. اذ ان الاعلام اذام ساير احد الاتجاهات فإنه يتغلب علي منافسه لا محالة . في قصة (شتاء الخوف) فان الاستاذ جابر الذي يشغل منصب رئيس نداي المترجمين يصّر علي التعقيم حتي أنه يصرخ بصوت عال علي السيد صلاح عمران ان يترجم بعض مقاطع الخبر الذي يتحدث عن ثورة قبرس اذ ان هكذا اخبار من منظره لا تعكس حقيقة ثورة قبرس . في واقع الامر فإنه من خلال رسم الثورة الشيوعية سعي إلي تبرير نفوذ الامريكي فيها مثلما يجري في مصر تماما . ثم يقوم الرئيس جابر بصوت هادئ بتذكير صلاح ان عليه الحذر اذ ان الاستخبارات اليوم سألته فيما يتعلق بشيوعيته: «قال بسرعة وبصوت مرتبك وخافت: اسمع يا أستاذ صلاح. ليس من واجبي أن أقول لك هذا، وأرجوك مهما حدث ألّا تذكر اسمي. إسمع، المباحث سألت عنك اليوم. سألوني إن كنت أعرف إن كنت شيوعيا، فقلت لهم إنني لا أعرف عنك إلا أنك شاب متدين ومترجم ممتاز. إسمع.. خذ بالك من نفسك.. أنت تعرف ما يحدث هذه الأيام. أنا أديت واجبي نحوك، ولكن لا أريد أن تكون لي أي علاقة بالموضوع. أنت تفهمني

طبعاً؟... ومع ذلك استطاع صلاح أن يسأل بصوت خافت: ولكن ما الذي فعله الشيوعيون بالضبط؟.. هل حاولوا قلب نظام الحكم؟.. تراجع الأستاذ جابر إلي الخلف وتصلب وجهه وهو يقول: أنت لن تدافع عن هؤلاء الكفرة؟ غير معقول!.. لا تجعلني أندم علي ثقتي فيك. هل أنت بالفعل..؟ قال صلاح عمران بهدوء يكاد يقارب اليأس: لا يا أستاذ جابر، لست شيوعياً ولكنني أسأل» (طاهر، لا تا، ٥٦). ثم في نقده لشريحة المتنورين ودعاة الفكر الشيوعي علي لسان الأستاذ جابر يبين أسباب مخالفة الحكومة مع هكذا أشخاص: «إذن تريد أن تعرف؟ خربوا البلد إن كنت تريد أن تعرف! حاولوا أن يخربوا الثورة والحمد لله أنها انتبهت. كانت الثورة عال العال.. لكن الشيوعيين أطلوا برؤوسهم كالحيات.. توزيع الأرض على الفلاحين.. مصادرة أملاك الناس..» (المصدر نفسه، ٥٧). صلاح ابفعل قلقه علي مصيره يذهب إلي لقاء صديقه حلمي الذي هو ناشط سياسي ويحدثه حول قضية مسألة الاستخبارات. فيشير الكاتب مرة أخرى إلي دور الإعلام وحساسية السلطة تجاه ذلك: «هم لا يقبضون إلّا على أعضاء التنظيمات. لا تهمهم الميول. قال صلاح فلماذا إذن ذهبوا إلى رئيس التحرير اليوم؟ فكر حلمي قليلاً ثم قال: ربما لأنك تعمل بالصحافة. أنا لا أعمل بالصحافة. أنا مجرد مترجم. ولكنك تترجم في صحيفة. يهتمهم جداً إلّا يوجد في صحيفة شخص له ميول» (المصدر نفسه: ٦١).

٥- الإشارة إلي الأحداث التاريخية

قصة (حكايات عرمان الكبير) الأسطورية حول التاريخ ومصير بناء مقدس يتشكل من بيت صغير وضريح شخص باسم عرمان (رمز لعائلة عرمان) وتروي شفويًا حول أسباب هجرته إلي الصحاري القاحلة روايات عدة.

في هذه القصة القصيرة، يقوم بهاء طاهر بهدف اضماء الواقعية علي الأحداث المعاصرة بإعادة صياغة التاريخ القديم او الاساطير ويتعبه ظرفاً أدبياً مناسباً للعودة إلي القديم اذ ان الكاتب الواقعي يجعل التاريخ مصباح طريقه ووسيلة تعرفه عيل الآخرين وكذلك اضماء الواقعية علي اثره الأدبي. كل ذلك بهدف ان يجد للتعارض الموجد بين القيم الثاقفية في العالم القديم وتطورات العالم الحديث. بعبارة أخرى فان الكاتب ضمن عرضه للاساطير يقوم بعرض مشاغل عالم الحديث ومن خلال ارضية التجارب

العينية يسوق القاري إلي التفكير . فهو عبر الأسطورة يسعى لتوفير الفرصة والرغبة لدي القراء بغية الامعان في القضايا الفلسفية و مشاكل الحياة كما ان بذلك يمهّد للتطور الثقافي والقومي ويسوق أمتّه نحو التفكير في الهوية الوطنية و القومية . (ميرصادقي، ١٣٧٦: ٢٧٨): «يا نسل عرمان الشريف.. ها قد جاءت آخر الأيام وأصبح كل إنسان يهذي بما يعرف وبما لا يعرف، وراجت الروايات والأباطيل عن جدنا ومصدر فخرنا وعزنا، ولما كنت أعرف مصدر الهوي، وعندي من الأقوال المتيقنة ما لا يجدي معه الإفك، فها أنا الآن أكتب ما أكتب لأثبت أفئدتكم أحفاد عرمان، وفؤادك أنت بالذات يا ولدي بعد أن ساء حالنا وشممت بنا الأعداء. لا تحزن يا ولدي ولا تهن، فآل عرمان وإن أخني عليهم الدهر إلي معاد. واسمع هاتين الحكايتين عن جدك ففيهما عبرة».

في هذق القصة نجد حكايتين: «حكاية الهججان» و «حكاية البركات» اذ ان القصة اذا ما عكس قصة أخرى ضمنها فان القصة اذ ذاك فضلا عن ايصال المضمون الاصلي فانها تعكس نفسها ضمن ذلك (اخوت، ١٣٧١، ٢٧٧) .. « ويلاحظ ان هذين القصتين تحتويان علي سمات وعناصر أسطورية. من ضمنها وجد عناصر خيالية ما ورائية مثل نجاة عرمان من الموت المحتم بفعل ظهور ناقة بيضاء في الصحرا القاحلة سقته بجليها ومن ثم من خلال ضرب الارض هدته إلي معين ماء : «فما أن شبع جدك {عرمان} من لبنها الذي ما انقطع ولا فتر، حتي راحت تتهادي في الساحة وهي تلتفت برأسها نحو عرمان تدعوه بعينها وبصوتها المنغم، فتبعها جدك وهي تمشي الهويني، ثم وهي تسرع شيئاً فشيئاً قبل أن تحب خباً فوق تلك الربوة الصخرية الصعبة وكأنها تعدو فوق رمال ناعمة هينة وجدك يلهث وهو يركض خلفها محاولاً أن يلحق بها حتي أدركها متقطع الأنفاس، وراحت تدور في بقعة من الأرض تنبش فيها وتتحمسها حتي توقفت في المكان الذي قُدر لها. ظلت ساكنة برهة ثم راحت تضرب بأخفافها الأرض ضرباً هنياً، ثم راحت ترغي وتزبد، وتمد عنقها الطويل إلي البقعة كأنما تستفهم إن لم يكن قد آن الأوان. وتصغي كأنها تستمع إلي إجابة ما، بعدها راحت تمس الأرض مساً خفياً بخفيها الأماميين كأنما تربت عليها برأسها مستسلمة كأنها تتضرع وتتوسل، إلي أن استجابت الأرض التي تندت، ثم ابتلت البقعة المدورة، ثم تدافع منها الخريز وانتشر فوق الصخر الحباب ثم الفقاقيع الفوارة قبل أن يندفع الماء في تلاطم صاحب من تلك العين يهتك

صوت الصحراء، وتحييه زغاريد الناقة المتصلة، وتهليل جدك والأصداء التي يرددها الجبل وهي تحيي ذلك العيد الندي». او تحليق الطيور الملونة فوق راس عرمان في وسط الصحراء القاحلة وهي تحمل بذور البرتقال و الرمان و المشمش في مناقيرها وتزرعها بجانب النبع: «فيري تلك الأسراب المحلقة مقبلة من مطلع النور، هابطة من السماء، نحو، تحلق فوق رأسه بأجنحتها البيضاء والوردية والزرقاء والمزركشة.. غيمة من الشفق... فلا تصدق أن أسراب الهدد هي التي زرعت بذور البرتقال، وأن الحمام الزاجل هو الذي وضع حب الرمان، وأن الحمام السماوي الأبلق الجناحين هو الذي زرع نوي المشمش والبرقوق بينما حفر اليمام بمناقيره الصغيرة لبذر اليوسفي □ (طاهر، لا تا، ٤٧)

النتائج

- بعد دراسة عناصر الواقعية في مجموعة «ذهبت إلي الشلال» نستنتج ما يلي:
١. ان الكاتب في وصفه للشخصيات يهتم بالظواهر الشكلية والاخلاقية وان كان جل اهتمامه بالسمات الشكلية. كما ان وصف العواطف من أبرز سماته وتتميز قصصه بصبغة غرامية. كما ان وصف الامكنة تعدد في هذه المجموعة وسبب ذلك شغفه بتلك الامكنة او حنينه إليها.
 ٢. ان بهاء طاهر استطاع من خلال المذهب الواقعي وعبر لسان احد شخصياته ان يرسم الظروف الصعبة في العالم العربي وان يكشف عن عاهات التبعض و الاختلاف الطبقي وقمع الحكومات وتناولها علي المتنورين والمخالفين . فهو يتحدث باسهاب عن الفساد الحكومي و محاولات السلطة في قمع المناوئين .
 ٣. ظهور شخصية الكاتب، ورواية حياته لكل محطاتها وأحداثها من أبرز سمات الواقعية التي تظهر بكثرة في مختلف مقاطع القصص.
 ٤. ان الكات بفي مجموعته (ذهبت إلي الشلال) خلف نقاب احد شخصياته يكشف عن دور الاعلام ويعتقد ان القضايا التي يسايرها الاعلام هو التي تنتصر علي انواعها الأخرى.
 ٥. الرواية التاريخية هي الأخرى من سمات الواقعية وان الأديب والروائي يستخدمها لبيان مشاكسات المجتمع العربي . فالكاتب من خلال اثاره الافكار و ضرب من

الترغيب والترديد يسعى إلى إزالة الابهام من الروايات المختلفة من جانب وينبه الجيل الجديد إلى أهمية السنن والاجماد التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع

- اخوت، احمد (١٣٧١)؛ دستور زبان داستان، اصفهان، نشر فردا.
- ايراني، ناصر (١٣٨٠)؛ هنر زمان، تهران: آبان‌گاه.
- بوشعير، الرشيد (١٩٩٦)؛ الواقعية وتياراتها في الآداب السردية الأروبية، ج اول، دمشق: الأهالي.
- پرويني، خليل؛ قبادي، مصيب؛ ذولفقاري، حسن (١٣٩١)؛ رئاليسم در سبک بنيان‌گذاران داستان نويسي عربي و فارسي، دوماهنامه جستارها زباني، دوره ٣، شماره ٣، صص ٤٩-٦٤.
- پرهام، سيروس (١٣٤٥)، رئاليسم و ضد رئاليسم، تهران، نيل.
- حسين، البهاء (دون تا)، قريبا من بهاء طاهر، المكتبة الالكترونية كتب عربية.
- حضر، خالد حسن (٢٠١٤)؛ المكان في الرواية الشماعية للروائي عبدالستار ناصر، مجلة كلية الآداب، بغداد، العدد ١٠٢، ص ١١٤.
- خادمي، اميد (١٣٩٥)؛ تحليل و بررسي واقع گرایی در آثار احمد محمود، رساله کارشناسي ارشد، دانشگاه پیام نور، همدان.
- دهقاني، محمد (١٣٨٣)؛ رئاليسم پويا در آثار جلال آل احمد، قم؛ صحيفه معرفت.
- سيد حسيني، رضا (١٣٨٥)؛ مکتبهاي ادبي، تهران: مؤسسه انتشارات نگاه.
- شکري، فدوينشر (١٣٨٦)، واقع گرایی در ادبيات داستاني معاصر، نشر نگاه. تهران.
- شيري، قهرمان (١٣٨٢)؛ داستان نويسي، تهران: پايا.
- صادقي محسن آباد، هاشم (١٣٩٣)؛ تأملی در اصول و بنيادهای نظري رئاليسم در ادبيات، فصلنامه تخصصي نقد ادبي، ش ٢٥، صص ٤١-٧٠.
- طاهر، بهاء (دون تا)، مجموعة قصصية: ذهب إلى شلال، مصر، دار الشروق.
- فتوحی، محمود، و هاشم صادقي (١٣٩٢)؛ شکل گيري رئاليسم در داستان نويسي ايراني، مجله جستارهاي ادبي، ش ١٨٢، صص ١-٢٦.
- گرانت، ديميان (١٣٧٥)؛ رئاليسم، ترجمه حسن افشار، چاپ اول، تهران: مرکز.
- ميرصادقي، جمال (١٣٧٦)؛ ادبيات داستاني، چاپ سوم، تهران: سخن.
- ----- (١٣٨٠)، عناصر داستان، تهران، سخن.